المحاضرة الثامنة: تنظيمات القطاع الصناعي

هدف المحاضرة 8- أن يتعرف الطالب على أهم نظم القطاع الصناعي، في الحرفة الواحدة، وفي مجموع الحرف، وعلى العلاقات والقوانين المنظمة لهذه الحرف، وعلى كل ما له علاقة بجانب التنظيم الحرفي

تنظيمات القطاع الصناعي:

لقد عرفت المدن الإسلامية تنظيمات للحياة الاقتصادية حيث تتجمع اليد العاملة في طوائف حرفية مميزة، وقد كان عدد هذه الطوائف يختلف من مدينة إلى أخرى، حيث نشاطها التجاري، وللإشارة فإن الباحث الفرنسي أندريه ريمون قد اتخذ هذا العدد (عدد الطوائف) معيارا ومؤشرا لأهمية المدينة في العهد العثماني، في كتابه الموسوم ب: المدن العربية الكبرى في العهد العثماني.

ولقد كان في مدينة الجزائر حسب تقديرات الأرشيفي الفرنسي ألبير دوفو سوى 32 طائفة في دفتر تشريفات، وتشترك الطوائف الحرفية مع الأحياء السكنية في اعتمادها على مبدأ المسؤولية الجماعية الذي كان يميز كل طائفة ، حيث نجدها مستقلة عن الإدارة العامة إلى حد ما وذلك فيما يخص شؤونها الداخلية ومراقبة أمكنتها الحرفية، كما امتازت بالتدرج الدقيق الذي كان ينظم العلاقات بين أفراد الحرفة الواحدة.

-مميزات القطاع الصناعي في الجزائر إبان العهد العثماني:

* كانت الطوائف الحرفية تعرف باسم الجماعات في الجزائر ورؤساؤها باسم المعلمين، وكانت هذه التسمية الأخيرة تطلق على كل من يحسن الصنعة ويتحصل على شهادة اعتراف من أساتذته، ويقوم بتسيير ورشته الخاصة وينظم العمل فيما بين عماله، والذين عادة ما يلتحقون هناك في سن العاشرة أو الثانية عشر,

* اقتضت التقاليد الحرفية أن الشبان الذين يدعون بالمتعلمين لا يتخرجون من الورشات إلا باسم المعلم، وإذا كان الأب هو المعلم فإن الإبن لا يمكنه بلوغ تلك الرتبة إلا في ورشة أبيه.

*كان مجموع معلمي الحرفي يعينون رئيسا عليهم يدعى **أمين الحرفة** ، ومن خصوصياته ومهامه نذكر:

- السلوك القويم.

-التنسيق مع السلطات في عملية جمع الضرائب.

-المشاركة في الشؤون العامة للمدينة.

-الدفاع عن حقوق أفراد الطائفة.

- ممارسة الرقابة على أفراد الطائفة.

-القضاء على الخصومات بين أفراد الطائفة.

-يراقب تنقلات أعضاء الطائفة في قضية الدخول والخروج....

وللإشارة في هذا السياق أيضا أن الأمناء كانت له شرطتهم الخاصة والسجن الخاص، ولا تتدخل السلطات في أحكامهم إلا نادرا، كما كان الأمناء يتمتعون بالثقة والخبرة، وكانو يكلفون بالتحقيق في القضايا التقنية التي تعرض على القاضي والتي تستدعي آراءهم بناءا على خبراتهم، ففي الخصومات التي تحتاج إلى خبرة يكلف أمناء الحرف بمعاينة المواقع بأنفسهم أو إرسال من يمكنه ذلك، وبسبب هذا هم يعرفون أيضا باسم: **أعوان القاضي**، لكون هذا الأخير يصدر حكمه في قضية ما بناءا على آرائهم.

وقد كان الأمناء ينسقون في عملهم أيضا مع ما يقوم به المحتسب في مراقبة الأسواق والمكاييل وجودة السلع وسلوك أفراد الطائفة الحرفية تجاه الزبائن، وهذا ما نلمسه في كتاب ابن الشاهد قانون أسواق مدينة الجزائر الذي قام بتحقيقه الدكتور ناصر الدين سعيدوني.

-أن أمين الأمناء عادة ما ينتخب من بين أمناء مجموع الحرف، وقد كان هذا المنصب مثار منافسة بين بعض العائلات والأعيان، وقد انفردت به بعض العائلات لمدة زمنية معتبرة مثل عائلة الشاهد، والتي تقلد أفرادها هذا المنصب ما بين 1609 و1750، ودوره أيضا كان يكمن في:

-عقد المصالحات بين الطوائف.

-عقد المصالحات بين أفراد الحرفة الواحدة.

-تسجيل التفاهم والاتفاق بين أصحاب الحرف عند شيخ البلد بحضور أمين الأمناء، وبعد ذلك تصير ذات صبغة رسمية، أي قانونا متداولا بين الحرفيين يضبط السوق وعوائده، وينظم علاقات العمل بين الشركاء والمتعاملين.

-شيخ البلد ينسق مع المحتسب في جمع الغرامات والضرائب من أصحاب الحرف المتنقلة وبعض الطوائف الحرفية (جماعة البنائين-طائفة بني ميزاب). ولابد في هذا السياق أن نقدم تعريفا لشيخ البلد والمحتسب:

شيخ البلد:

يعتبر موظفا مدنيا يشرف على النقابات المهنية والطوائف السكنية فهو يتصل بأمين المهن ورؤساء الطوائف ليتعرف على مشاكلهم ويلبي حاجياتهم عند الضرورة، كما يتسلم من الأمناء الضرائب والرسوم ليودعها في الخزينة العامة كل شهريين.

شيخ البلد أداة وصل بين النقابات الحرفية من جهة وسلطات الإيالة من جهة أخرى، وعادة ما يعين من طرف الداي ويكون من العناصر المحلية، ويجب أن يكون شيخا عفيفا فقيها، ومن المهام التي كان يقوم بها نذكر:

- النظر في قضايا الحرفيين.

-حل النزاعات القائمة بين الحرفيين.

-تولت هذا المنصب أسرة أندلسية، وهي أسرة بوضربة من 1756 إلى 1830.

-المحتسب:

استمد وظيفته من التقاليد الإسلامية، يراقب كل ما يباع من مأكول، مشروب، ملبوس مصنوع، وذلك عن طريق تحديد أسعار البضائع والإشراف عليها ومراقبة الدكاكين وبائعي الخضر والفواكه وأفران الجير...، لكي يضمن التقيد بالكيل والميزان ويحول دون التدليس.